النص الأدبي في زمن الرقمنة: واقعه وتحولاته
بين الإكراهات ورهانات المستقبل

مولاي اسماعيل امحرزي علوي
عضو باحث في مختبر البحث في الثقافة والعلوم والآداب
كلية الآداب والعلوم الإنسانية – عين الشق – جامعة الحسن الثاني– الدار البيضاء
المملكة المغربية

الملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع "النص الأدبي في زمن الرقمنة" من حيث المفهوم والخصائص، وهو موضوع فرض نفسه بقوة في الآونة الأخيرة على المهتمين بالشأن الأدبي عامة، وبالنص الرقمي خاصة. باعتباره شكلا مفارقا ومختلفا عن الأشكال المألوفة في الكتابة الأدبية، فقد أصبحنا نشهد ولادة شكل جديد من الكتابة المعاصرة، يتماشى مع الثورة الهائلة والمتسارعة في تقنيات الإعلام والتواصل، الأمر الذي فرض على الكتّاب الانخراط في مسايرة هذه التكنولوجيا والسعي للاستفادة من إمكاناتها المتنوعة واللا محدودة. وقد تنوعت تسميات هذا النمط من الكتابة، وأثار الكثير من الجدل بين الباحثين حول تحديد مفهومه وضبط خصائصه. ومن هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلى تقديم رؤية واضحة لحدود النص الرقمي بصفة عامة، والنص الأدبي الرقمي بصفة خاصة، وبيان أهم السمات التي تميّزه عن النص الأدبي التقليدي، سواء أكان ورقيًا أو إلكترونيًا. كما تسعى الدراسة إلى رصد واقع الأدب الرقمي في السياق العربي المعاصر، واستشراف آفاقه المستقبلية، في محاولة لتجاوز حالة الركود التي يشهدها، من خلال اقتراح مجموعة من التوصيات التي نأمل أن تسهم في دفع هذا الشكل من الإبداع إلى الأمام، وتعزيز الوعي به في الأوساط النقدية والبحثية، باعتباره جزءًا لا يتجزأ من حركة الأدب المعاصر.

الكلمات المفاتيح : النص الأدبي، النص الرقمي، الأدب التفاعلي، الرقمنة، التشظي النصي.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

مقدمة:

عرفت الإنسانية منذ نهايات القرن العشرين ثورة تقنية عارمة تمثلت في الانتقال السريع نحو أنماط جديدة من الاتصال في مجتمع المعرفة الحديث، تحت مسمى "الرقمنة". وقد اجتاحت هذه الثورة جميع مناحي الحياة، فأعادت تشكيل علاقات الإنسان بالعالم والمجتمع والمعرفة، وكان من الطبيعي أن تمتد آثارها العميقة إلى الحقل الثقافي والإبداعي، وفي صلبه النص الأدبي الذي ظل لقرون طويلة مرتبطًا بالوسيط الورقي، وبمنظومة قرائية وثقافية مخصوصة.

أمام هذا التحول الجذري، نشأت أنماط جديدة من النصوص تتسم بخصائص غير مسبوقة، من قبيل التفاعلية، والتشعب، والوسائطية، مما فرض مراجعة جذرية للمفاهيم الكلاسيكية للنص الأدبي، سواء على مستوى إنتاجه، أو بنيته، أو تلقيه. لقد فقد النص الأدبي الرقمي طبيعته الخطية التقليدية، وأصبح نصًا متعدد المسارات، يتداخل فيه البصري والسمعي والحركي، ويتغير فيه موقع القارئ من متلق سلبي إلى مشارك فاعل.

تطرح هذه التحولات تحديات نظرية ومنهجية عميقة على الدرس الأدبي والنقدي، إذ لم يعد من الممكن مقاربة النصوص الجديدة بأدوات التحليل الكلاسيكية التي نشأت في ظل الكتابة الورقية. كما أن هذه النصوص تثير إشكالات فنية وقانونية واقتصادية تتصل بوظيفة الأدب وموقعه في المجتمع، وبمستقبل الكتابة الأدبية نفسها.

وانطلاقًا من هذه الملاحظات العامة، تتمحور إشكالية المقاربة في التساؤل التالي:

كيف أثرت الرقمنة على واقع النص الأدبي، وما الإكراهات التي فرضتها، وما الآفاق المستقبلية الممكنة للنص الأدبي في العصر الرقمي؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية، منها:

- كيف تغير مفهوم النص الأدبي مع الانتقال من الورقي إلى الرقمي؟
- ما خصائص النص الأدبي الرقمي مقارنة بالنص غير الرقمي؟
- ما التحديات الجمالية والقانونية التي تواجه النصوص الرقمية؟
- كيف يمكن تطوير النقد الأدبي لمواكبة تحولات المعرفة في ظل الرقمنة والذكاء الاصطناعي؟

ولتحقيق أهداف هذه الدراسة، نعتمد **مقاربة تحليلية نقدية** تستند إلى رصد التحولات البنيوية للنصوص الأدبية في العصر الرقمي، وتحليل آثارها على مستويات الإنتاج والتلقي والوظيفة الثقافية، مع الاستعانة بالمفاهيم المستقاة من البلاغة الجديدة، ونظريات القراءة، والسيميائيات، ونظريات الإعلام والاتصال الحديثة.

وستتم معالجة الموضوع عبر أربعة فصول رئيسة:

1. **الفصل الأول: الإطار النظري والتاريخي للتحول الرقمي وسؤال العلاقة بالنص الأدبي.**
2. **الفصل الثاني: التحولات الكبرى التي شهدها النص الأدبي في العصر الرقمي.**
3. **الفصل الثالث: الإكراهات التي تواجه النص الأدبي الرقمي.**

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

4. الفصل الرابع: رهانات المستقبل وآفاق الأدب في زمن الرقمنة.

نأمل أن تسهم هذه الدراسة في إثراء البحث العربي في مجال الأدب الرقمي، وأن تفتح أفقًا علميًا أوسع لفهم التحولات العميقة والمتغيرات الكبرى التي مست بنية النص الأدبي ووظائفه في زمن التحول الرقمي.

الفصل الأول: الإطار النظري والتاريخي للتحول الرقمي وسؤال العلاقة بالنص الأدبي

1- مفهوم النص الأدبي الكلاسيكي

يُعد النص الأدبي، في تصوره التقليدي، منتجًا لغويًا يتسم بخصوصية فنية، تتجلى في قدرته على تجاوز مجرد الأداء اللغوي العادي إلى إبداع معنى جمالي يتوسل بأساليب التخييل، والإيقاع، والصور البلاغية، لبناء عالم متخيل ذي دلالات متعددة. وقد تأسس هذا المفهوم في سياق ثقافة ورقية، حيث كانت الكتابة تتمثل وسيطًا قارًا، محددًا في صفحاته وحدوده الفيزيائية، مما فرض على النص طابعًا خطيًا متسلسلًا، يبدأ من نقطة الافتتاح وينتهي بنقطة الختم، ضمن سيرورة قرائية تتسم بالانتباه والتأمل[1].

لم يكن النص الأدبي إذًا، مجرد مادة مكتوبة، بل كان يشكل بنية مغلقة نسبيًا، تحتكم إلى وحدة موضوعية وفنية واضحة، ويتسم بمركزية المؤلف بوصفه منشئ المعنى، ومركزية القارئ بوصفه متلقٍ مفترضٍ يعتمد على سلسلة من التعاقدات الضمنية التي تتيح تشفير وفهم الرسالة الجمالية المنقولة عبر اللغة.وقد مثل النص الأدبي الورقي، عبر العصور، مجالًا للتمثيل الجمالي للواقع، وصياغة الأسئلة الوجودية الكبرى، وتحقيق التواصل العميق بين الأفراد والمجتمعات عبر وسائط ثقافية مستقرة.

2- الخصائص الفنية للنص الكلاسيكي

يمكن تلخيص أبرز خصائص النص الأدبي التقليدي فيما يلي:

أ- **الخطية** : يتم بناء النص وفق نظام خطي، يُقرأ بطريقة متسلسلة من البداية إلى النهاية، بما يحافظ على ترابط دلالي متين بين أجزائه.

ب- **مركزية المؤلف** : يحتل المؤلف –رغم فرضية موت المؤلف البنيوية- موقعًا مركزيًا، حيث يُفترض أن يتحكم بصورة كاملة في إنتاج المعنى، ويكون القارئ ملزمًا باستكشاف هذا المعنى وفق الشفرات اللغوية والثقافية السائدة.

ت- **محدودية التفاعل** : يكون التفاعل بين النص والقارئ محدودًا بطبيعة النص الخطي، إذ يظل القارئ مفسرًا لا مبدلًا ولا مشاركًا ماديًا في بنية النص.

ث- **الوسيط الورقي** : يعد الورقُ الحاملَ الفيزيائيَ للنص (الكتاب)، بما تفرضه طبيعته المادية على عملية القراءة، مما يستدعي بالضرورة حضور التركيز (الانتباه الانتقائي)، فضلا عن توفير الإيقاع الزمني المطلوب (زمن القراءة.

3- وظائف النص الأدبي التقليدي

يقوم النص الأدبي الورقي بوظائف إبداعية وثقافية وجمالية متعددة، لعل أبرزها:

- **إنتاج المتعة الجمالية** : من خلال التلاعب الفني باللغة والصور والأخيلة والأنساق الإيقاعية...

[1]- تزفيتان تودوروف، **مدخل إلى الأدب العجائبي**، ترجمة الصديق بوعلام، دار الكلام، ط 1، 1993م، الرباط، المغرب، ص25

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- **نقل القيم الثقافية والاجتماعية** : عبر تضمين الأفكار الكبرى، والمعتقدات والرؤى المجتمعية في بنية النصوص (نسق القيم الجمعية).
- **بناء الهوية الجماعية** : حيث ساهم الأدب في تشكيل الذاكرة الجمعية وتدعيم الانتماء إلى ثقافة معينة.
- **التأمل في الوجود** : فالأدب (الورقي) كان دائما مجالًا لطرح الأسئلة الوجودية والإنسانية العميقة، واستشفاف سمة غائية عبر فعل التمثل الواعي.

ومن ثمَّ كان النص الأدبي في المجتمعات التقليدية يحتل مكانة رمزية رفيعة، إذ يُنظر إليه باعتباره حاملًا للقيم العليا، ومؤطرًا للرؤية الكونية للمجتمع، والأنساق الرمزية فيه.

4- أنماط القراءة التقليدية للنص

كانت القراءة في ظل النص الورقي، عملية تأملية تخضع لسيرورة زمنية ومكانية نفسية محددة. فقد كان القارئ يسترسل عبر النص، في خط مستقيم، محكومًا بمراحل إدراكية متدرجة: تبدأ بالفهم الأولي، مرورا بالتأمل الحصيف الناجم عن فعل الانتباه الانتقائي، وصولا إلى الاستبطان الجمالي أو ما يعرف ب "لذة النص" كما عبر عنها رولان بارت، معتبرا أن النص الكلاسيكي ينتج متعة قائمة على بطء التلقي وتراكم المعنى[1]. فالقراءة عبر الوسائل التقليدية تشكل فعلًا وجوديًا حميميًا يتطلب من القارئ انخراطًا وجدانيًا وعقليًا مكثفًا، بعكس القراءات الرقمية الحديثة التي تتسم بالسرعة والتشظي والانقطاعات العبثية السريعة.

الفصل الثاني: الرقمنة والتحولات الثقافية الكبرى

1- مفهوم الرقمنة:

تشير الرقمنة (**Digitalization**) في مستواها التقني الأولي إلى عملية تحويل المعلومات من صيغتها التناظرية (Analogue)إلى صيغ رقمية (Digitals) ، أو هي عملية تحويل النص المكتوب المطبوع أو المخطوط من صيغته الورقية ليصبح قابلا للمعاينة على شاشة الحاسوب، وقابلا للتداول والشبكات الإلكترونية[2] .غير أن المفهوم، في تطوره السوسيو ثقافي العام، تجاوز الإطار التقني ليصبح دالا على نمط حضاري جديد يقوم على مركزية المعلومات الرقمية، وسرعة التداول، والاتصال متعدد الاتجاهات، والوسائطية التفاعلية...

وقد تجاوزت الرقمنة حدود الاقتصاد والتكنولوجيا، لتشمل ميادين التعليم، والصحة، والإدارة، والثقافة... بل وحتى أنماط التفكير والإدراك. يقول مانويل كاستلز (Manuel Castells) : إننا انتقلنا من مجتمع صناعي إلى مجتمع شبكي، حيث باتت الشبكات الرقمية تشكل البنية التحتية الأساسية للوجود الاجتماعي[3].

فالرقمنة بهذا المعنى، لم تعد مجرد وسيلة جديدة تهدف إلى حفظ المعطيات أو نقلها، بل أضحت بنية كلية تؤثر في إنتاج المعرفة، وأنماط التفاعل الاجتماعي، ومنظومات القيم والثقافة، وتعكس تحولا استراتيجيا جذريا في المجتمعات القائمة على المعرفة واستغلال بنوك المعلومات المختلفة.

---

(1)- رولان بارت، **لذة النص**، ترجمة منذر عياشي، مركزالإنماء الحضاري، ط 1، 1992م، حلب، سورية، ص 45

(2)- أحمد فرج أحمد، **الرقمنة داخل مؤسسات المعلومات أم خارجها**، مجلة دراسات المعلومات، جمعية المكتبات والمعلومات السعودية، العدد 4، 2009م، المملكة العربية السعودية، ص 11

(3) - مانويل كاستلز، **سلطة الاتصال**، ترجمة محمد حرفوش، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2014م ، القاهرة، مصر ص93

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

2- الرقمنة والثقافة: ملامح التحول

لقد أحدثت الرقمنة تحولات عميقة في الثقافة الإنسانية يمكن تلخيصها في عدد من المظاهر:

أ- **الوسائطية الجديدة** (New Media)

حلّت الوسائط الرقمية محل الوسائط التقليدية (الكتاب، الصحيفة، التلفاز)، الأمر الذي أدى إلى ظهور بيئات تواصلية جديدة قائمة على التشابك الفوري والوسائط المتعددة (Multimedia) . وتتيح هذه الوسائط دمج النصوص والصور والأصوات والفيديوهات ضمن بنية متشابكة واحدة، محدثة بذلك انقلابًا في شكل الرسالة الثقافية وطبيعتها. فمع تطور وانتشار الرقمنة أصبح النص أكثر قابلية للتعديل والمشاركة الفورية، مما قلص الحدود بين الكاتب والقارئ. وهو ما يؤكده جون ماكنزي أوين بقوله: "إن **بنية المعلومات نفسها قد تغيّرت، فلم يعد المحتوى وحده هو جوهر المادة العلمية أو الثقافية، بل أصبحت طريقة تقديمه، وتفاعله مع المتلقي، جزءًا من قيمته الأساسية**"[1].

وفي هذا السياق، لم يعد النص الأدبي محصورًا في الصفحة الورقية، بل أصبح عابرًا للوسائط، قابلاً للدمج بالصوت والصورة والفيديو، مما وسّع من إمكاناته التعبيرية والإبداعية.

ب- التفاعلية (Interactivity) : فخلافًا لوسائط الاتصال التقليدي الأحادية الاتجاه، تتيح الوسائط الرقمية إمكانات تفاعلية تُمكّن المتلقي من المشاركة الفعلية في بناء الرسالة أو تعديلها، مما يقوض الحدود التقليدية بين المنتج والمستهلك الثقافي؛ "فالجمهور لم يعد مستهلكا سلبيا ولكن غالبا ما يكون مشاركا على نحو وثيق في تركيب الأداة الثقافية وشكلها وقصتها"[2].

ج – التحول في أنماط الإدراك والمعرفة: حيث أنتجت الرقمنة أنماط تفكير جديدة تتميز بالسرعة، والاختزال، والقفز من موضوع إلى آخر، مما أثر بعمق في طرائق القراءة والفهم والاستيعاب، كما شدد على ذلك **نيكولاس كار** في كتابه: "*السطحية: ماذا تفعل الإنترنت بعقولنا*"؟" [3].

3-2- أثر الرقمنة على الإبداع الأدبي :

أفرز التحول الرقمي بيئة إبداعية جديدة تختلف عن البيئة التقليدية في عدة جوانب:

- **الكتابة التفاعلية** :حيث أصبح القارئ جزءًا من العملية الإبداعية عبر ما يسمى بالنصوص التشعبية أو الألعاب الأدبية.
- **النصوص متعددة الوسائط** : فالنصوص الأدبية توظف الصوت والصورة والفيديو، إلى جانب اللغة المكتوبة.
- **الكتابة الجماعية** :عبر المدونات أو المشاريع الإبداعية التعاونية المفتوحة.

---

[1]- جون ماكنزي أوين، **المقالة العلمية في عصر الرقمنة**، ترجمة: حشمت قاسم، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م،القاهرة، مصر ، ص 45.

[2] – براموكيه نايار، **مقدمة إلى وسائل الإعلام الجديدة والثقافات الإلكيرونية**، ترجمة جلال الدين الدين عزالدين على، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ط1، 2017م، المملكة المتحدة ، ص61

[3] – نيكولاس كار، **السطحيون: ما تفعله شبكة الإنترنت بأدمغتنا** ترجمة وفاء م يوسف، دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع، ط1، 2021م، الجبيل، المملكة العربية السعودية، ص61

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- **التحرر من وسائط النشر التقليدي** : حيث صار الكاتب قادرًا على نشر نصه مباشرة عبر المنصات الرقمية، دونما حاجة إلى ناشر كلاسيكي.

كل هذه السمات أفضت إلى ظهور أدب جديد – لا يزال في طور التشكل – يتطلب شيفرات وأدوات قراءة ومعالجة وتحليل نقدي ومنهجي تختلف – تقنيا– عن تلك التي رسخها الموروث النقدي الكلاسيكي.

الفصل الثاني: التحولات الكبرى للنص الأدبي في العصر الرقمي

1 – من النص الورقي إلى النص الرقمي:

ارتبط النص الأدبي الورقي تقليديًا بمنطق الخطية؛ فالنص يُقرأ من أوله إلى آخره، عبر تتابع أو تسلسل زمني ومنطقي واضحين. وقد أسس هذا النمط من الكتابة والقراءة علاقة أحادية الاتجاه بين أطراف ثالوث: المؤلف /النص /القارئ؛ حيث كان القارئ أسير المسار الذي اختطه المؤلف مسبقًا. بيد أن ظهور النصوص الرقمية، خصوصًا النص التشعبي(Hypertext) ، قلب هذا النظام رأسًا على عقب. فقد أصبح النص مجموعة من الوحدات النصية المترابطة بروابط إلكترونية، تتيح للقارئ الانتقال بين مقاطع مختلفة حسب اختياراته الخاصة، مما يجعل التجربة القرائية ذات طابع غير خطي، وتمنح القارئ سلطة نسبية على مسار التلقي[1].

أصبح النص الرقمي – في سياقه التقني الحديث– مفتوحًا، ومتعدد المسارات، يتيح إنتاج معانٍ متجددة بحسب طرق القراءة المختلفة. وهكذا، لم يعد النص نسقًا مغلقًا، بل فضاء ديناميكيًا للتفاعل وإعادة البناء المستمرة.

2– النص التشعبي كتحول مفهومي:

يُعتبر النص التشعبي من أبرز الابتكارات التي أفرزتها الرقمنة. ويرجع الفضل في بلورته إلى نظريات تيد نيلسون (Ted Nelson) منذ الستينيات، فقد تصور النصَّ على أنه شبكة من العقد النصية المرتبطة فيما بينها، على غرار طريقة عمل العقل البشري معرفيا في تخزين واسترجاع المعلومات [2].

في النص التشعبي، تتجاور مقاطع نصية وروابط إلكترونية وصور وفيديوهات، ضمن بنية مرنة تتيح لقارئ مختلف أن يسلك مسارًا قرائيًا مغايرا داخل النص نفسه، مما يجعل كل عملية قراءة بمثابة إنتاج جديد للنص.

3– النصوص التفاعلية: انخراط القارئ في البناء النصي

من أبرز ملامح النصوص الرقمية أنها لا تكتفي بالتشعب، بل تدمج القارئ في عملية البناء النصي عبر ما يسمى بالنصوص التفاعلية (Interactive Texts)، حيث يختار القارئ بين عدة احتمالات لسير الأحداث، أو يضيف محتوى خاصًا به، أو يتفاعل مع النص عبر أوامر معينة تسمح بحرية سيميائية في تدبير فعل القراءة وديناميتها.

تظهر هذه الظاهرة بوضوح في:

---

[1] – حسام الخطيب، **الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرغ** hypertext، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط 2، 2011م، الدوحة، قطر، ص117

[2] – إيمان يونس، **مفهوم المصطلح "هايبرتكست" (hypertext) في النقد الأدبي الرقمي المعاصر**، مجلة المجمع: أبحاث في اللغة العربية والأدب والفكر، العدد 6، ديسمبر 2012م، الضفة الغربية، فلسطين، ص 36

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- القصص التفاعلية الرقمية(Interactive Fiction)
- الروايات التشاركية على المنصات الإلكترونية.
- مشاريع الأدب الافتراضي المعتمد على الواقع المعزز أو الافتراضي.

مؤدى ذلك أن العلاقة بين المؤلف والقارئ أصبحت علاقة تفاوض مستمر على إنتاج المعنى، بما يقوض الحدود التقليدية بين الطرفين، ويفتح المجال أمام مفهوم جديد للكتابة الجماعية قائم على التعاون والتشاركية، مما يضفي على النص سمة الانفتاح على كل القراءات الممكنة [1].

4- الوسائطية: نحو نص أدبي متعدد الحواس

تتيح البيئة الرقمية دمج النصوص المكتوبة مع الصور الثابتة والمتحركة، والأصوات، والمقاطع الموسيقية، مما أفرز نصوصا أدبية متعددة الوسائط.(Multimedia Literature) ، يتحقق فيها اندماج الحواس المختلفة، بحيث لا يقتصر التلقي على الإبصار والقراءة البصرية فحسب، بل يشرك الإدراك السمعي والإدراك الحركي، مما يجعل التجربة الأدبية أكثر شمولية وغنى، وإن كان يطرح، في المقابل، تحديات جديدة على مستوى صيانة الوحدة الجمالية للنص.

في هذه النصوص:

- تتداخل الكلمات مع الصور الثابتة أو المتحركة لإنتاج دلالات معززة.
- تسهم المؤثرات الصوتية في تعميق الأثر الانفعالي للنص.
- يتوزع التركيز الإدراكي للقارئ بين مكونات حسية متعددة، مما يثري التجربة الجمالية.

وتطرح الوسائطية تحديات جمالية جديدة، تتعلق بضرورة الحفاظ على التوازن بين مختلف المكونات، بحيث لا تطغى الوسائط غير اللغوية على القيمة الأدبية للنص.

توضح السمات التي وقفنا عندها أن النص الأدبي في البيئة الرقمية لم يعد نصًا خطيًا مغلقًا متمركزًا حول مؤلف واحد، بل أصبح فضاءً مفتوحًا للتفاعل والتشعب والوسائطية وتجاوز الأجناس الأدبية التقليدية. وهذا التحول البنيوي يفرض مراجعة جذرية للعديد من المفاهيم النقدية الكلاسيكية، ويطرح الحاجة إلى تطوير أدوات تحليلية جديدة قادرة على استيعاب تعقيد النصوص الرقمية.

الفصل الثالث: إكراهات النص الأدبي في زمن الرقمنة

1- الإكراهات الجمالية والفنية:

أ- فقدان التماسك النصي

من أبرز الإكراهات التي يعاني منها النص الأدبي الرقمي ضعفُ التماسك البنائي مقارنة بالنص الورقي. فالطبيعة التشعبية للنصوص الرقمية تؤدي غالبًا إلى تفكك النسق السردي أو الشعري، مما يُفقد العمل الأدبي وحدة الموضوع والتسلسل المنطقي للأحداث أو الأفكار.

[1]- د. بوضروة زهرة، **الأدب التفاعلي الرقمي- نحو توسيع أفق نظرية النص-**، مجلة جسور المعرفة، المجلد 9، عدد 2، 2023م، الجزائر، ص329

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

لقد كان النص الورقي التقليدي حريصا على وحدة البنية العضوية الداخلية عبر التراتب والتدرج الدلالي، أما النص الرقمي فغالبًا ما يقدم مقاطع متناثرة، يمكن للقارئ أن يتنقل بينها بطرق مختلفة، مما يُنتج نصًا متشظيا مفتوحا ولكنه أقل تماسكا بنيويا. "فنهايات الروايات التفاعلية مثلا غير ثابتة وكل قارئ ينتهي إلى نهاية تختلف عما انتهى إليه غيره وهذا يعتمد على المسار الذي سلكه كل قارئ منهم، ومدى استعانة قراء المسار الواحد بالمواد غير النصية الملحقة به"[1]. وهذا التشتت البنائي يفرض على الأدب الرقمي تحديات فنية حقيقية تسائل الوحدة الجمالية والتماسك النصي في ظل تعدد المسارات وتشظي النصوص.

ب- تراجع الكثافة الفنية للنصوص:

تؤكد دراسات سيميائية وتواصلية حديثة أن الميل العام في النصوص الرقمية يتمثل في التكثيف المعرفي على حساب التكثيف الجمالي[2]. فالسرعة والاختزال والانقطاعات الزمنية أصبحت سمات ملازمة للنصوص الرقمية، مما أثر سلبًا على العمق الجمالي والتأملي الذي كان يميز النصوص الأدبية التقليدية .ويطرح هذا التحدي سؤالا جوهريا حول إمكانات الحفاظ على الوظيفة الجمالية للنص الأدبي في بيئة تفرض السرعة والتشظي وهيمنة الانتباه قصير المدى.

ج- الغلبة للوسائط غير اللغوية:

مع اتساع مجال الوسائطية، بدأت النصوص الرقمية تميل إلى تغليب الصور والفيديوهات والمؤثرات الصوتية على الكلمة المكتوبة.

وقد يؤدي هذا التوازن المختل إلى تهميش اللغة، وفقدان النصوص الرقمية لجوهرها الأدبي الذي يقوم تقليديا على بلاغة التعبير اللغوي. وفي هذا الصدد يرى بول فيريليو (Paul Virilio) أن "الصورة في العصر الرقمي تلتهم الكلمة"[3]، مما يجعل النصوص الرقمية مهددة بالتحول إلى وسائط بصرية بحتة، تُفقد الأدب خصوصيته الخطابية والفنية.

2- الإكراهات الحقوقية والاقتصادية:

أ- حماية الملكية الفكرية

يمثل الحفاظ على حقوق المؤلفين أحد أبرز التحديات التي طرحتها البيئة الرقمية. فبفضل سهولة النسخ والنشر عبر الإنترنت، أصبحت النصوص الأدبية عرضة للاستباحة والقرصنة، مما أضعف حافز الكتابة، وأجهز على الحقوق الفكرية للمبدعين.

ورغم وجود قوانين دولية مثل "اتفاقية برن لحماية المصنفات الأدبية والفنية[5]"، فإن الرقابة على المحتوى الرقمي تظل ضعيفة نسبيًا مقارنة بالمحتوى الورقي. وبذلك يبرز سؤال ملح هو: كيف نوازن بين حرية الوصول إلى المعرفة عبر الرقمنة، وبين حماية حقوق المؤلفين؟

ب- أزمة النشر الورقي التقليدي:

أدت الرقمنة إلى تراجع مبيعات الكتب الورقية بشكل ملحوظ، حيث أصبح جمهور القراء يفضلون الكتب الإلكترونية نظرا لسهولة الوصول إليها، ناهيك عن انخفاض تكلفتها. وأدى ذلك إلى إضعاف صناعة النشر التقليدية، وتسريح آلاف العاملين في

---

[1] – د. بوضروة زهرة، **الأدب التفاعلي الرقمي– نحو توسيع أفق نظرية النص–**، ص 329

[2] – سعيد بنكراد، ***استراتيجيات التواصل*** من اللفظ إلى الإيماء، مجلة علامات، العدد 21، 2004م، المغرب، ص 12

[3] -Paul Virilio, *The Information Bomb*, Chris Tuner,2000 , London, Great Britain, p.88.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

دور النشر والمطابع والمكتبات. ورغم محاولات التكيف عبر إنشاء مكتبات رقمية ومنصات نشر إلكترونية، إلا أن أزمة النشر الورقي لا تزال تهدد البنية الاقتصادية لصناعة الكتاب.

3- الإكراهات النقدية والمنهجية:

أ- قصور المناهج النقدية التقليدية:

لم تعد المناهج النقدية الكلاسيكية (كالبنيوية، والتحليل النفسي، والتيارات النقدية السياقية) قادرة على استيعاب خصوصيات النصوص الرقمية. ذلك أن النص الرقمي يقتضي أدوات تحليلية جديدة قادرة على التعامل مع عوامل التشعب، والتفاعلية، واللاخطية والتعدد الوسائطي... وفي هذا السياق دعا عدد من النقاد المعاصرين إلى تأسيس "نقد رقمي" (*Digital Criticism*) يستوعب البراديغم الجديد يرتكز على استراتيجيات تحليلية تتجاوز القراءة الخطية للنصوص[1].

ب- الحاجة إلى بلورة مقاربات نقدية جديدة:

تبدو الحاجة ملحة إلى تطوير أدوات منهجية لتحليل:

- النصوص التشعبية المتعددة المسارات.
- النصوص الوسائطية التي تدمج اللغة بالصورة والصوت...
- النصوص التفاعلية التي تشرك القارئ في البناء الدلالي.

ولعل من أبرز الجهود في هذا المجال كتاب "الشعرية الرقمية" *Electronic Literature* لآنا كاثرين هايلز(N.Katherine Hayles)، الذي يقترح نماذج لتحليل النصوص الرقمية بوصفها كيانات دينامية متغيرة[2].

ويظل النص الأدبي الرقمي يواجه مجموعة من الإكراهات الفنية، والحقوقية، والاقتصادية، والنقدية التي تمثل تحديات حقيقية أمام استمراريته وتطوره.

وهذه الإكراهات، رغم مخاطرها، فإنها تفتح آفاقًا جديدة لإعادة التفكير في طبيعة الأدب ووظائفه في السياق الرقمي الحديث.

الفصل الرابع: النص الأدبي الرقمي ورهانات المستقبل

1- آفاق تطور الأدب الرقمي:

يمثل الذكاء الاصطناعي اليوم أحد المحركات الكبرى للتحولات التقنية والثقافية. وقد بدأت تظهر تطبيقاته في المجال الأدبي بشكل متسارع، سواء عبر إنتاج نصوص شعرية وروائية تعتمد خوارزميات الكتابة الآلية، أو عبر تصميم منصات تفاعلية تسمح بخلق نصوص أدبية من خلال تفاعل القارئ مع الآلة[3].

---

[1] - N. Katherine Hayles, *Electronic Literature: New Horizons for the Literary*, University of NotreDame Press, 2008, p.39.

[2] - نفسه، ص 145.

[3] - Luciana Duranti, **The Long-Term Preservation of Authentic Electronic Records**, University of British Columbia,Canada , 2005, p.34

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

وفي خضم هذه التحولات طور باحثون برامج مثل GPT (Generative Pre-trained Transformer) التي تستطيع توليد نصوص أدبية كاملة بناءً على تعليمات مختصرة. ورغم أن هذه النصوص تظل حتى الآن تفتقر إلى استيفاء الدقة المرجوة، والثراء الدلالي الذي يميز الإبداع البشري، فإن تطور الذكاء الاصطناعي يطرح تساؤلات مقلقة حول مفهوم "المؤلف"، ومستقبل الكتابة الإبداعية.

2– تحديات وآفاق التطور:

رغم هذه الإمكانات، يظل التحدي الأساسي متمثلًا في الحفاظ على البُعد الجمالي والإنساني للأدب، بحيث لا تتحول النصوص إلى مجرد ألعاب تفاعلية تفتقر إلى العمق الدلالي والوجداني.

كما أن قدرة القارئ على التكيف مع البيئات السردية الجديدة ستكون حاسمة في نجاح الأدب الرقمي مستقبلا.

التحدي الأكبر للأدب الرقمي يتمثل أساسا في الجمع بين العمق الجمالي والتفاعلية التقنية؛ ذلك أن الإفراط في التفاعلية قد يفضي إلى تهميش البعد الدلالي، والتركيز الحصري على العمق قد يجعل النص غير ملائم لبيئة القراءة الرقمية. وبذلك يبدو أن نجاح الأدب الرقمي مستقبلا مرهون بقدرة المبدعين على تحقيق توازن دقيق بين الغنى الجمالي والانفتاح التقني.

يفتح النص الأدبي الرقمي آفاقا رحبة للتجديد الإبداعي، لكنه يطرح في الوقت ذاته رهانات جدية تتعلق بالحفاظ على القيمة الجمالية والمعرفية للأدب. ويظل نجاح هذه المغامرة الجديدة مرهونا أيضا بمدى قدرة الأدباء والنقاد والقراء على تطوير أدوات وإجراءات جديدة للفهم والإبداع، تجمع بين احترام جوهر الأدب والانفتاح على تقنيات العصر.

خاتمة:

عرفت النصوص الأدبية، عبر تاريخها الطويل، سلسلة من التحولات التي لم تكن معزولة عن التحولات الحضارية الكبرى، لكن الرقمنة جاءت بما يشبه القطيعة النوعية مع المفاهيم التقليدية للنص، والإبداع، والقراءة، والنقد. فقد أعادت الثورة الرقمية تشكيل بنيات الإنتاج الأدبي وأشكال تلقيه، بل أعادت صياغة مفهوم الأدب ذاته.

أظهرت دراستنا أن **الانتقال من النص الورقي إلى النص الرقمي** لم يكن مجرد انتقال مادي، بل كان تحولا بنيويا عميقا يشبه قطيعة ابستيمولوجية بين سرديتين، فشمل: طبيعة النص، وموقع المؤلف، وأنماط التقبل و التلقي، وحدود الأنواع الأدبية في ظل المنعطف الجديد.

ومن هنا، يمكن القول إن مستقبل الأدب الرقمي مرهون بقدرة المبدعين والنقاد على تطوير رؤى جديدة قادرة على الجمع بين **العمق الجمالي** الذي يميز النصوص الأدبية الكبرى، و**الانفتاح التقني** الذي تتيحه الرقمنة بكل إمكاناتها المتعددة.

كما أن الحاجة أصبحت ملحة إلى بناء **نقد رقمي منهجي**، قادر على تحليل الظواهر الأدبية الجديدة، واستيعاب منطق النصوص الشبكية والوسائطية والتفاعلية، دون السقوط في نزعة تقنوية محضة، أو في حنين تقليدي جامد.

وفي ضوء ما سبق، يمكن اقتراح بعض آفاق البحث المستقبلية، تتضمن:

- دراسة الأثر النفسي والثقافي للتلقي الرقمي على القارئ.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

- تحليل مقارِن لتجارب الأدب الرقمي في العالمين العربي والغربي.
- استقصاء إمكانات الذكاء الاصطناعي في تطوير أساليب الشعرية الرقمية الحديثة.
- تطوير نظريات بلاغية جديدة خاصة بالنص الأدبي الرقمي.

إن الأدب، في جوهره العميق، يظل دائمًا فنا إنسانيا مقاومًا للانقراض، وقادرًا على التكيف مع تحولات الوسائط والأزمنة. ولعل التحدي الحقيقي اليوم ليس في مواجهة الرقمنة، بل في جعلها أفقًا جديدًا لتوسيع طاقات الإبداع وإنتاج المعنى.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

لائحة المصادر والمراجع:

✓ المراجع العربية:

- أحمد فرج أحمد، **الرقمنة داخل مؤسسات المعلومات أم خارجها**، مجلة دراسات المعلومات، جمعية المكتبات والمعلومات السعودية، العدد 4، 2009م، المملكة العربية السعودية
- إيمان يونس، **مفهوم المصطلح "هايبرتكست" (hypertext) في النقد الأدبي الرقمي المعاصر**، مجلة المجمع: أبحاث في اللغة العربية والأدب والفكر، العدد 6، ديسمبر 2012م، الضفة الغربية، فلسطين
- برامود كيه نايار، **مقدمة إلى وسائل الإعلام الجديدة والثقافات الإلكيرونية**، ترجمة جلال الدين الدين عزالدين على، مؤسسة هنداوي سي آي سي، ط1، 2017م، المملكة المتحدة.
- تزفيتان تودوروف، **مدخل إلى الأدب العجائبي**، ترجمة الصديق بوعلام، دار الكلام، ط 1، 1993م، الرباط، المغرب.
- جون ماكنزي أوين، **المقالة العلمية في عصر الرقمنة**، ترجمة: حشمت قاسم، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م،القاهرة، مصر.
- حسام الخطيب، **الأدب والتكنولوجيا وجسر النص المفرغ** hypertext، وزارة الثقافة والفنون والتراث، ط 2، 2011م، الدوحة، قطر.
- د. بوضروة زهرة، **الأدب التفاعلي الرقمي– نحو توسيع أفق نظرية النص–**، مجلة جسور المعرفة، المجلد 9، عدد 2، 2023م، الجزائر
- رولان بارت، **لذة النص**، ترجمة منذر عياشي، مركزالإنماء الحضاري، ط 1، 1992م، حلب، سورية.
- سعيد بنكراد، **استراتيجيات التواصل** من اللفظ إلى الإيماء، مجلة علامات، العدد 21، 2004م
- مانويل كاستلز، **سلطة الاتصال**، ترجمة محمد حرفوش، المركز القومي للترجمة، ط 1، 2014م، القاهرة، مصر.
- نيكولاس كار، السطحيون: ما تفعله شبكة الإنترنت بأدمغتنا ترجمة وفاء م يوسف، دار صفحة سبعة للنشر والتوزيع، ط1، 2021م، الجبيل، المملكة العربية السعودية.

✓ المراجع الأجنبية:

- Luciana Duranti, **The Long-Term Preservation of Authentic Electronic Records**, University of British Columbia,Canada
- N. Katherine Hayles, *Electronic Literature: New Horizons for the Literary*, University of NotreDame Press.
- Paul Virilio, ***The Information Bomb***, Chris Tuner,2000 , London, Great Britain.

© المؤلفون. مرخص بموجب Creative Commons Attribution-Non Commercial 4.0 (CC BY-NC 4.0) — يُسمح بإعادة الاستخدام غير التجاري مع نسبة المصدر
https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/